# الغَرْبُ في مرآةِ الذّاتِ

تمهيد: صَيْحَةُ فَزَعٍ في وَجْه غَفْلَتِنا ذَلكَ هوَ «الموسِمُ»، إنّهُ الضّميرُ العَرَبيّ يَتَفَجّعُ مِنْ تَصَدّعِ الشّخْصيّةِ تَحْتَ وقْعِ الصّدَامِ الحَضَاريّ العَنيفِ بالغَرْبِ. لَقَدْ عَصَفَ التّاريخُ بمُجْتَمَعِ الجِدّ وَلكنْ إلى أيْنَ يَجْرِفُنا سَيْلُ هُبُوبِهِ؟ أَنَغْتَرِبُ عنْ ذَاتِنَا في غَيْرِنا؟ أَنقْدِرُ أنْ نَتَقَدّمَ دُونَ أنْ نكُفّ عَنْ كَوْنِنَا «نَحنُ» بشَخْصيّتِنا؟

توفيق بكّار، من مقدّمة موسم الهجرة إلى الشّمال، ط. دار الجنوب للنّشر.

عُدْتُ إلى أهْلِي يَا سَادَتي بعْد غيْبةٍ طَويلةٍ، سبْعةُ أعْوام عَلَى وَجْهِ التّحْديدِ، كُنتُ خِلالَهَا أتعلّمُ في أوربّا. تَعَلّمتُ الكَثيرَ، وغَابَ عَنّي الكثيرُ... سَبْعَةُ أعْوَامٍ وأنا أحِنّ إليْهِمْ وَأحْلُمُ بهِمْ... قَامَ بيْني وبَينَهمْ شَيْءٌ مثلُ الضّبابِ أوّلَ وَهْلةٍ رَأيْتُهم، لَكنّ الضّبابَ راحَ واسْتيْقظْتُ ثَاني يَوْم وُصُولي في فِراشي الّذي أعْرِفُهُ...

جاءَتْ أُمّي تَحمِل الشّايَ. وفرَغَ أبي من صَلاتِهِ وأوْرَادِهِ... وجَلسْنا نَشرَبُ الشّايَ ونتَحدّثُ، شأنُنا مُنذُ تَفتّحتْ عيناي على الحياةِ. نعمْ، الحَياةُ طيّبةٌ، والدّنْيَا كَحَالِها لمْ تتغيّرْ... فجأةً تَذكّرْتُ وجهًا رأيتهُ بينَ المستقبلينَ لم أعْرِفهُ.

سَألتهم عنهُ... وقال أبي: هذا «مصطفى».

مصطفى منْ؟ هل هو أحَدُ المُغْتربينَ من أبنَاءِ البلدِ عَادَ؟

لا أعلَمُ تمَامًا ماذا أثَار فضُولِي، لكنّني تَذكّرتُ أنّهُ يومَ وصُولِي كانَ صَامتًا. كُلّ أحَدٍ سَأَلنِي وسَألْتُه. سألونِي عن أوربّا. هل النّاسُ مِثْلَنا أمْ يَختلِفونَ عَنّا؟ هل المَعيشةُ غاليةٌ أم رَخيصةٌ؟ ماذا يَفعَلُ النّاسُ في الشّتاءِ؟ يقولونَ إنّ النّساءَ سافراتٌ يَرْقُصنَ عَلانيَةً مع الرّجالِ. وسألني وِدْ الرّيس: «هلْ صحيحٌ أنّهمْ لا يتزوّجونَ ولكنّ الرّجُلَ منهُمْ يعيشُ مع المَرأةِ بالحرام؟».

أسئلةٌ كثيرةٌ رَدَدْتُ عليها حَسَبَ عِلمِي. دَهَشُوا حينَ قُلتُ لهمْ إنّ الأوربيّينَ، إذا اسْتَثْنيْنا فوارقَ ضئيلةً، مثْلُهُمْ تمامًا، يتزوّجونَ ويُرَبّونَ أوْلادهُمْ حسبَ التّقاليدِ والأصولِ، ولهمْ أخْلاقٌ حَسَنَةٌ، وهُمْ عُمومًا قومٌ طَيّبونَ».

وسألني محجُوب: «هَلْ همْ مُزارِعونَ؟».

وقلتُ لهُ: «نعمْ بَينهمْ مُزارِعونَ وبينَهمْ كلّ شَيْء. مِنهمْ العاملُ والطّبيبُ

والمُـزارعُ والمعَلّـمُ، مثلُنَا تمامًا». وآثَـرْتُ ألاّ أقولَ بقيّةَ ما خَطرَ علـى بَالي: «مِثلُنا تمامًـا... يُولَدونَ ويموتونَ، وفي الرّحلةِ من المَهدِ إلى اللّحدِ يحْلُمونَ أحلامًا بعضَها يَصدُقُ وبعضَهـا يَخِيبُ. يخَافونَ من المَجهولِ، ويَنشُـدونَ الحُبّ، ويبحثونَ عن
25 الطّمأنينـةِ في الزّوْجِ والوَلـدِ. فيهُمْ أقوياءُ، وبينهُمْ مُسـتَضعفُونَ؛ بعضُهمْ أعْطَتهُ الحَيـاةُ أكْثرَ مِمّا يسْـتحقُّ، وبعضُهُمْ حَرَمتْهُ الحياةُ. لكـنّ الفُروقَ تَضيقُ وأغلبُ الضّعفـاءِ لـمْ يعودُوا ضُعفاء». لمْ أقلْ لمحجوب هذا، وليْتَنـي قُلتُ، فقدْ كانَ ذكيّا. خِفْتُ، منْ غُرورِي، ألاّ يَفْهَمَ.

الطّيّب صالح، موسم الهجرة إلى الشّمال، دار الجنوب للنشر تونس، 2004 ص ص 30-31

## تعريفات

أعــلام:

المؤلّف: الطّيّب صالح - روائيّ معاصر، وُلد ســنةَ 1929 بمركز مروة شــمال السّودان ينحدر من عائلة فلاحيّة. زاول دراسته العليا بجامعة الخرطوم؛ انتقل إلى أنقلترا واشتغل بالقســم العربيّ من إذاعة «بي.بي.ســي»، مثّل اليونسكــو بـ «قطر» ما بين 1984 و 1989. من أشــهر مؤلّفاته: «عرس الزّين» 1962، «موسم الهجرة إلى الشّمال» 1971، «مريود ودومة ودّ حامد» ترجمت رواياته إلى أغلب اللّغات.

## الفهم والتّحليل

1 - انبنى النّصّ على لحظتين: لحظة التقى فيها الرّاوي بعشيرته، ولحظة تساءل الأهل فيها عن أوروبّا وحضارتها: حدّدْ مقاطع النّصّ في ضوء هذه الثّنائيّة.

2 - لم وظّف الرّاوي الحوار الباطنيّ في ردّه على «محجوب»؟ وبم تفسّر إدراجه ذاته في: «مثلنا»؟ وانفصاله عن الحضور في قوله: «مثلهم»؟

3 - ما الفرق بين حضارتيْ الشّرق والغرب من خلال أجوبة الرّاوي؟

4 - تمثّلت شــخصيّات النّصّ الغربَ منعكســا على مرآة ذواتهم وتصوّراتهم. عدّدْ الأمثلة الكاشفة لذلك التّمثّل.

## التّفكير وإبداء الرّأي

إنّ التّطوّر الإعلاميّ ســاهم في إزالة النّظرة الضّبابيّــة إزاء حضارة الغرب: أبدِ رأيك مدعّما بأمثلة من الواقع.

## إنتاج كتابيّ

لئنْ نظر البعضُ إلى أوروبّا من زاوية عقائديّة فإنّ البعض الآخر اختار المجال العلميّ ليحكــم من خلاله عليها. حرّرْ فقــرة تبرز فيها عوامل الاختــلاف في التّعامل مع الآخر الأوروبّيّ.

## نافذة لغويّة

### المفعولُ المُطلَقُ

المفعول المطلق من وسائل التّأكيد، يساهم في تقوية العامل، ويفيد التّوسّع في المعنى، وينقسم إلى قسمين:

- مؤكّد: يحلمون أحلامًا بعضُها يصدُقُ وبعضُها يخيبُ.
- مبيّن: للنّوع: سارتْ زينبُ سيْرًا حَثيثًا.
  للعدد: «إنْ تسْتغْفرْ لهُمْ سبْعينَ مرّةً فلنْ يغْفِرَ اللّه لهُمْ». [قرآن]

والمفعول المطلــق ينقل الجملة الخبريّة الابتدائيّة إلى جملة خبريّة طلبيّة. فكلّ تأكيد يدخل على الإسناد الخبريّ الابتدائيّ تحصل بفضله تقوية للمعنى.

---

حدّد المفعول المطلق وبيّن المعنى الّذي أفاده:

كَانَ إسْــماعيل لاَ يشْــعُرُ بوطَنِهِ إلاّ شُــعورًا مُبْهَمًــــا (...) أمّا الآنَ فقدْ بدَأَ يشْعُرُ بِنفْسِــــهِ كحَلَقةٍ في سلسِلةٍ تَشُدّهُ إلى وَطنِهِ شَدّا وترْبِطُهُ بهِ ربْطًا قويّا.

*[قنديل أمّ هاشم، يحي حقّي]*

---

إغنـاء

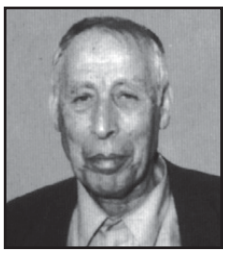

... إلى المقابلة الكبرى بين حضارتنا وحضارتهم يرجع «الموسم» في أدقّ مكوّناته، من خلالها تتفاعل الكائنات والأشياء وعلى حدّها تلتقي أو تفترق لتحيا أو تموتَ. وتتعدّد أشكال المقابلة وتتنوّعُ عبرَ المستوياتِ على اختلافِها ولكنّها ترتدّ كلّها، آخِرَ الأمرِ، إلى صورتيْن جامِعتيْن تتلخّصُ فيهما: أحمد الجدّ ومصطفى سعيد «الغريب» في الطّرفِ الآخرِ. وجهان متعاكِســان يشــخّصانِ الجدلَ التّاريخــيّ العنيفَ الّذي يوتّرُ كياننا، أفرادًا ومجتمَعًا، إلى حدّ الانفصام أحيانًا...

فمــا أباحت لــهُ العنجهيّةُ الانكليزيّــةُ أن يكون على حقيقتِهِ هو بإنســانيّتِه ولونِهِ وحضارتِه هوَ، شــبيهًا ومفارقًا مثيــلا ومُغايرًا واحدًا وآخر. فلمْ يكــنْ بحكْم الظّرفِ إلاّ صُــورًا متعددةً من أوهام أوربّا، صُورًا من أوربّا إلى نفْســها كأنّــهُ بلا هويّةٍ إلاّ ما تصوغُه لــهُ المصالحُ - والأخْيلةُ - الاســتعماريّةُ: مَــزارعُ الكاكاوْ والموْز والقطــنِ ومناجِم الأرانيوم والجواهــر وخرافات كبلنغ وأفلام طرزان و«حكمة» لورانس «العربيّ». وهل كنّا في رؤيةِ البورجوازيّات الغربيّة إذّاك إلاّ كظلّ نورها على الأرضِ؟

توفيق بكّار، مقدّمات، دار الجنوب للنّشر، تونس 2002، ص ص 95 - 108

# عملُ الاسْتفهـامِ

## منطلقات

1 - مُصْطفَى مَـنْ؟ هَـلْ هو أحدُ المُغْتربينَ من أبناءِ البلَدِ عادَ؟

← مَـنْ: أداة استفهام يستفهم بها عن العاقل «مصطفى».

← هَـلْ: أداة استفهام عن مضمون كلّ الجملة، (كوْن أحد المغتربين قد عاد.)

الاستفهام عمل يطلب به المتكلّم معرفة أمر لم يكن يعرفه من قبل. ويمكن أن نستفهم عن:

1 - عنصر في الجملة (مسند، مسنـد إليه / الزّمان/الحال/الكمّيّة...)

مَـنْ، مَـا، مَتى، كيْفَ، كَـمْ

2 - مضمون الجملة، أي نسبة الحكم الحاصل بالإسناد.

← هَـلْ هُمْ مُزارِعونَ؟

الاستفهام يتعلّق بنسبة مهنة الزّراعة إلى الانقليز.

والجواب يكون بالإيجاب أو بالسّلب: «نَعَمْ» أو «لاَ». ويسمّى استفهام التّصديق.

- الفرق بين التّصديـق والتّصـوّر.

التّصديـق ← استفهام عن مضمون الجملة / التّصـوّر ← استفهام عن عنصر في الجملة.

## تطبيقات:

1 - مَاذا يفعَلُ الناسُ في الشّتاءِ؟ ← التّصوّر بتعيين شيء.

2 - أَ سلْمى جاءتْ أمْ أسماءُ؟ ← التّصوّر بتعيين الفاعل.

3 - هَـلْ يسْتَوي العالِمُ والمُتعالِمُ؟ ← التّصديق بـ «لاَ».

لاحـظ في المثال الثّانـي أنّ الهمزة إذا كانت للتّصوّر وجب أن يكون المسـتفهم عنه بعد الهمزة. وتلحقها «أَمْ» ويكون ما بعدها معادلا من جنسه.

أَ أُسامةُ فازَ أَمْ خالدُ؟ أَ فازَ أُسامةُ أَمْ لمْ يَفزْ؟

← نفس الجنس

← استفْهامُ التّصوُّرِ = التّعْيينُ.

## استنتاجات:

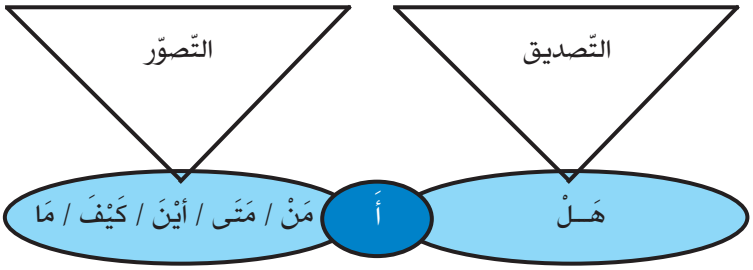


قد تُتبع الهمزة و «هَلْ» بالنّفي، فيكتسب الاستفهام دلالة الإثبات والتّقرير.

أ + هَلْ ← لاَ

أ ← لَيْسَ / لاَ / لَمْ

**مقاصد الاستفهام**: قد يخرج الاستفهام عن معناه الحقيقيّ إلى أغراض كثيرة، منها: الإنكار، التّقرير، التّعجّب، التّحقير، التّعجيز...

استخرجْ أدوات الاستفهام من نصّ «آدم والشّعر» وبيّنْ أكانتْ حروفا أم أسماء، للتّصديق أم للتّصوّر؟ وبيّنْ معانيها.

## تدريبـــات

| الاستفهام عن مضمون الجملة: هَلْ | اشْتَرتْ | أُميْمةُ | كِتابًا | يومَ الخَميسِ | منَ المعْرِضِ | بعشرينَ دينارًا |
|---|---|---|---|---|---|---|
| الاستفهام عن عنصر في الجملة | | | مَاذَ | | | بِكَمْ؟ |